ونجعل مسك الختام لاخبار هذا الحبر الجليل الشكر الجزيل لجناب الفيكنت فيليب افندي دي طرّازي الذي عُني بجمع تواريخ طائفتنا بدقة واتقان اذ اوقفنا على فوائد جمة تتعلق بصاحب الترجمة

اللغة العربيّة والحركات

الاديب داود افندي صليوا الكلداني

هي عنوان مقالةٍ عنَّت لي فيما غبر فأفضتُ فيها من الكلام ما تسنَّى للقريحة العيّاء وما حضر و بحثت فيها بحثًا طويلًا مدققاً استقصى شاردها واحاط بواردها الّا ان بعض الموانع حالت دون نشرها وتصدَّت لتاخيرها فحملني الامر على ان افرغها في قالب جديد غير قالبها الاوّل وابرزتها الان بحلي يروق للناظر السليم والراي السديد المستقيم على اني لم آتِ منتقدًا ولا مندّدًا بل ابسط رأيًا ارتأيتهُ وافيض من مورد وردتهُ

من البديهي ومما لا مرية فيهِ ان اللغة العربيَّة كانت منتشرة على افواه القبائل في جميع الانحاء والاصقاع العربيَّة وعنها أخذت وأثرت وعن افصحها قبيلة الينا نُقلت ألا وهي قبيلة قُريش التي بلغتها وُجد القرآن وعلى حكمها بالفصيح ثبت البرهان على ان اهل البحث والتنقيب في اي عصر كان ومن اية فئة كانوا لم يُبقوا حاجةً في نفس يعقوب من ركوب متن الحلّ والعقد وامتطاء صهوة الصافنات الجياد في النقد فيما نقلوه من اعتمادهم على اللغة الفصحى واثباتها من حيث هي حتى افرغوا كنانة الوسع في تقرير الادلَّة العديدة وامتحاض الآراء السديدة في شأن هذه اللغة العزيزة الشريفة فكفَوا بذلك مَن بعدهم مؤونة العناء في استقصاء ما هنالك من البحث الطويل فضلًا عن دفع الكلفة والمشقَّة عمَّن لم يُسعدهُ الحظ بالظفر بناصية الخبرة في اجتياز عقبة هذه الابحاث البعيدة الغور والمنال واستفراغ الجد وتتبُّع اقوال واضعي اللغة و باني صَرْح تاريخها واستقراء تلك الآراء والمزاولة في ترجيح هذا على ذاك وذاك على ذلك وانتقاء الاصح والاثبت وسبر غور اقوالهم بمرجاس العقل الثاقب حتى يتسنَّى الظفر بالمرغوب وترسخ المسئلة على اسّ الحقيقة المطلوبة التي لا شبهة وراءها . فعدلتُ الان عن المنازلة في هذا الميدان وملت عن المكافحة فيهِ الى ما سيستتبّ لي ان شاء الله من الفرص للتفرغ في البحث عنهُ وان كنت مستغنياً عن نيل قصب السبق في مضمار

رهانهِ لما اثبتهُ اولئك الافاضل مما لم يبقَ للريب فيهِ مجال ولا للاعتراض مكان. الَّا اني اقصد اتمام الفائدة مع اقراري بعجزي وقصر باعي وحرج الزمـان والمكان وتبلبل البال بكثرة الاشغال وبالله المستعان

فأنصرف الآن بوجهتي الى ما صُرفت اليهِ عنان الفكر من البحث عن الحركات العربيَّة وما انتهى اليهِ الراي القاصر فيها . فاقول :

لا امتراء في ان هذه السمات التي أُطلق عليها اسم الحركة كانت في بـدء امرها نقطاً اخذها ابو الاسود عن السريان على ما سترى وهي من اختراعاتهم كما هو مقرَّر في تدوينهم ويعلمهُ من لهُ اقلّ المام بتاريخ اللغات القديمة ومنهم اخذ العرب وغيرهم الخطّ أيضاً فضلاً عن اللغة ولا مشاحة في ذلك . لانهُ لا يخفى على القـارىء اللبيب ان اللغة السريانية (١ اي الارامية (نسبة الى ارام بن سام) كما يعرّفونهـا هم انفسهم في كتبهم كانت لغة امةٍ عظيمة ممتدَّة رواق المجد والعظمة وظل الشهرة قـد أشغلت قسماً كبيراً من ارض اسيا وهي بلاد الشام مع جزائرهـا والجزيرة والعراق العربي ومـا جاور هذه الاصقاع الى حدود بلاد فارس شرقاً وبلاد الارمن وبلاد اليونان في اسيا الصغرى شمالاً وحدود بلاد العرب جنوباً . فلها الفضـل العظيم على جميع البلاد في اختراعها صناعة الكتابة التي منها تعلمتهـا سائر الامم . قال بعضهم (وهو الاقرب الى الحقّ) : « فلا جرم اذاً ان العرب قد تعلموا الخط من السريان » . قال احد العلماء المتضلعين في علم التاريخ والمدققين الماهرين في كلامـهِ على الخط ومخترعيهِ وانتشاره : « وهكذا يسوغ لنا ان نقول ان السريان ردُّوا الكتابة العربيَّة الى الحال الذي كانت فيهِ اول ما تعلم العرب الكتابة من السريان اه »

على ان العرب لمَّا اتخذوا الخط من هذه الامة في مبادئ ظهور الاسلام وانتشارهِ

---

١) لا جرم ان هذه اللغة هي اقدم اللغات السامية لان اللغة السريانية هي لغة ارام الذي لا يبعد عن سام الا جيلاً واحداً . واما غيرها من الامم السامية فتبعد اجيالاً . واما اذا اعتبرنا الجد الثاني اشور او اثور فهو ايضاً ابن لحٍ لسام . ومما هو اشهر من نار على علم ان الامة السريانية بانتشارها الى الاصقاع البعيدة واستيطانها اياها خلَّفت اثاراً جليلة سيما مَن تبوأ منهـا بلاد مصر منذ الازمنة القديمة حيث تركت اثاراً كثيرة سريانية بالكتابات المنقوشة على الاحجار والمسطورة على القرطاس القديم

في نحو المائة الثامنة بعد المسيح لم يأخذوها الّا حروفاً ثم بعد ذلك بزمان اخترعوا هم العلامات للحركات المستعملة الآن عندهم وكذلك فعل العبرانيون وبقي الآراميون دهوراً يكتبون بلا علامات للحركات ولا لتمييز الجمع من المفرد . قال احد المهرة في فنّ التاريخ : « ومما نعجب بهِ ان من طبع الامم الساميَّة المضروب بهِ المثل هو انهم شديدو التمسُّك بعوائدهم واُمورهم والثبات فيها حتى اننا نرى اللغة العربيَّة مثلاً قد مضى عليها دهورٌ واحقاب عظيمة وهي باقيـة على حالها لم تتغيَّر الّا شيئاً يسيراً لا يُحتفل بهِ بخلاف الامم الاورو باويَّة اه »

على ان هذا التغيير الذي احدثهُ العرب لو كان مهمًّا كاهميَّة انتقالهم من الحرف الى الحركة على ما يزعم في بناء الكلمة واعرابها لأصبح شغلاً مما يُحفل بـهِ ونُسب الفضل فيهِ اليهم ولكنهم ليسوا في ذلك من الفضل بشيء (اي في استعمالهم الحركة) لأنها ليست من اختراعهم انما الفضل فيهِ للكلدان على ما علمت وستعلم . فالعرب لمَّا تعلموا الخط من الآراميين (كما سبق بيانهُ) لم يتعلموا سوى حروفٍ بسيطة لا غير ولما مضى نصف القرن الاول للهجرة وكان الناس يقرأُون القرآن بلا حركات على ما هو مقرر في هذا الباب فاول ما افتقروا اليهِ الحركات واول من رسمها لهم ابو الاسود الدؤليّ كما مرّ واضع النحو المتوفى سنة ٦٩هـ فانهُ وضع نقطاً تمتاز بها الكلمات او تُعرف بها الحركات وليس كما توهم بعضهم ايضاً انها لتمييز الحروف كالتّاء من الثاء وقس عليهِ . مقتبساً ذلك من الكلدان جيرانهِ في العراق . ولنا شاهد لا يُرتشى على ان الكلدان الذين تعلم العرب منهم الخـط كانوا ينقطون عوض الحركة كتاب سير النسَّاك الاولين لپلاديوس المكتوب على الرقّ سنة ٧٩٧م وهو اقرب الى الخط الكلداني . فان كاتبهُ استعمل الحركة بطريقة النقط كما عند الكلدان . قال احد الادباء الباحثين البارعين في علم التاريخ : « لقد عثرت على مصحف كوفيّ في دار الكتب الخديويَّة على هذه الكيفيَّة وهو من اقدم مصاحف العالم ومكتوب على رقوق كبيرة بمداد اسود وفيهِ نقط حمراء اللون فالنقطة فوق الحرف ضمة وتحتهُ كسرة وبين يديـهِ فتحة كما وضعها ابو الاسود الدؤلي » اه

ثم جُرَّت تلك النقط ومُطَّت (بعد جعل راس للضمة لئلَّا تلتبس بالفتحـة) فصارت على ما تُرى الان . وهذا اكبر دليل على صحة ما قلنا وسنقول من هذا القبيل

وعليهِ فيكون الراي الاكثر احتمالًا ان هذه الحركات من خصوصيَّات اللغة العربيَّة (وان كانت نشأتها الاصلية من انكلدان على ما بيناه قُبيل هذا) لما احدثوا فيها من التغيير . وليس ما يقابلها في غيرها من اللغات الَّا نادرًا . وهي ولا جرم تقوم لديهم بوظائفها في بناء مفردات الكلم لا سيما الإعراب الذي لا نظير لهُ في غيرها . ولهذا الإعراب بالحرف عندهم فرع الاعراب بالحركة على ما هو مقرَّر في كتبهم . ولم يُعرف منهم الحرف اصالةً او نيابة في قوام هجاء ما (١ . وعلى هذا لم يكن العرب ليستبدلوا الحرف بالحركة كما يُزعم . على ان غير العرب كالسريان او العبران او غيرهم لم يستعملوا حرفًا او حركة للاعراب كما سترى فضلًا عن ان جميع اولئك الاقوام لم يعرفوا صورةً للاعراب بل ولا اثرٌ لفظيٌّ لهُ عندهم

قال في الغراماطيق السرياني في باب المفعول بهِ: «قد يكون المفعول بهِ قد يكون خاليًا من علامة يُميَّز بها عن الفاعل وانما يُفرَق بينهما بالقرائن او من المعنى لانهُ ليس في السريانية ما يقوم مقام الاعراب الذي في اللغة العربية» . انتهى بحروفهِ . والَّا لتغيرت اواخر المعربات عندهم كما في العربيَّة . ودونك مثالًا على ذلك ܟܬܒ ܐܢܐ الرب يرعاني ܟܬܒ ܠܟܬܒ دعوت الرب ܟܬܒ ܒ ܟܬܒ طلبت من الرب . فانك ترى لفظة ܟܬܒ التي تأويلها الرب في كل من المواقع الثلاثة المذكورة قد لزمت حالةً واحدةً ابدًا رفعًا ونصبًا وجرًّا كما في المبني في اللغة العربية . ولم يستعملوا حرف العلة مطلقًا كما لم يميّزوا مواقع الاعراب بحرف او حركةٍ ما كما علمت . ولم يُعقل عنهم شيءٌ من ذلك فضلًا عن انهم لم يقرروهُ في كتبهم ولا اثبتوهُ في مدوَّناتهم . على ان العرب لم يفطنوا للقراءة والكتابة الَّا من عهد قريب . ولمَّا اخذوا الكتابة من اهلها وضعوا هم الحركات واختاروها على ما سواها لما فيها من الاختصار في الكتابة فضلًا عن أمن اللبس في مواضيع عديدة مختلفة . فكانت لهم اذًا في ما سوى اقامة الهجاء علامات اعراب ايضًا

وعلى كل فلو كان العرب يكتبون كما كتب غيرهم ممن يستعين بالحرف على تقويم هجائهِ عوض الحركة لكان لزمهم ان يكتبوا عوض قَامَ مثلًا (قامـا) وعوض

---

١) بدليل انهُ لم يُؤثَر عنهم ولا ذُكر لهم ولا في استعمالهم ما يُشار اليهِ بهِ

ضَرَبَ (ضارابا) وعوض يَضرِبُ (ياضريبو) مما لا يُؤمن معهُ اللبس في اغلب الحالات (ما عدا الاطالة كما ترى) والّا لكان افضى بهم الامر الى ان يضعوا لكل حرف من الحروف صوراً متعددةً بالنظر الى النطق بهِ في جميع احوالهِ فيكون للبـاء مثلاً اسمٌ مخصوص في حالة الرفع وآخر في الضم وقس عليهِ سائر الحالات الأُخر (وهم ليسوا في شيء من ذلك) ما عدا ما ان هذا متعذر ومن الصعوبـة بمكان ان يؤدي الى وضع أضعاف مما لديهم من الحروف . وهو عينهُ السبب في ما يبلغنـا عن كثرة الحروف في بعض اللغات . فلا امتراء اذاً ان العرب لم يستعملوا الحرف في اقامة الهجاء فضلاً عن الاعراب خاصةً

واما ما اعربوه بالحرف كالمثنى والجمع السالم فالارجح لانهم كرهوا ان يجمعوا بين علامتين في موضع واحدٍ من الكلمة وهما علامة التثنية أو الجمع وعلامـة الاعراب طلباً للاختصار ومراعاةً للخفة . كما كرهوا اجتماع اعلالين فيهـا ايضاً وهو دأبهم في كراهة اجتماع قبيلتين في محلّ واحد الّا ما كان من الاستطـاعة بمكان . غير انهم اذ رأوا ان كلًّا من العلامتين المشار اليهما يصلح لان يكون علامة اعراب ايضاً استغنوا بهِ في الاعراب عن الحركة الموضوعة لهُ وذلك بطريق النيابة . والّا فان كانوا قـد خصُّوها بالاعراب فما هي علامة التثنية والجمع ؟ . فلا جرم انهم قد وضعوها علامـةً للتثنية الخ ثم استظهروا بها على مواقع الاعراب ايضاً . ومـما هو حجيٌّ بالذكر انهم اختصوا الجمع المذكور بهذا النوع من العلامة والاعراب معاً لكي يُساوى بهِ بين معنى الجمع ولفظهِ . ولهذا كان لا يُستفاد فقط من هذه العلامة (١ الدلالة على معنى الكثرة الذي يدل عليهِ معنى الجمع بل تكثير حروف الكلمة ايضاً بمناسبة دلالتها على الكثرة في المعنى مع ما في لفظ الواو من الاعتبار والفخامة الموافقة لمعنى الجمع وهذا كلهُ لا يُتحصَّل مع الحركة . وبهذا الاعتبار ساوى اللفظُ المعنى . او كأنَّ اللفظ صار دلالةً على المعنى المطلوب من الجمع بكثرة الحروف على كثرة العدد مع فخامة اللفظ وجزالتهِ وبهذا الاعتبار تكون الالف والنون في المثنّى . بيد ان الالف اقلّ فخامـةً من الواو فوُضعت لهُ بهذه المناسبة ايضاً . اي باعتبار كون المثنّى اقلّ دلالةً من الجمع فطـابق

١) اي الواو مع النون التي سواء كانت عوضاً عن التنوين في المفرد او مقابلة لنون تضربون وهكذا مع الالف في تضربان اللاحقة حرف العلة في مثل تلك المواضع

لفظُ كلٍّ منهما معناهُ . وربَّما يقال لعلَّهم ارادوا بذلك ان يوفّقوا لفظ التثنية والجمع بين الفعل والاسم فخرجوا بهِ عن حدّ الاعراب بالحركة الى الاعراب بالحرف اشارة الى ان المثنى والجمع فرع المفرد فاعربوا القبيلتين (اي الاسم والفعل) في التثنية والجمع بالعلامة الفرعيَّة ليستوفي كلٌّ منهما حقَّهُ من الاصالة وفرعها ولعلَّهُ قريب من الصواب

واما ما ورد من اعراب الاسماء الخمسة بالحرف فقد وقفتُ لهُ في كتب القوم على تعليل شافٍ يفي بغرضنا في هذه العجالة تاييدًا لما نحن في صدده من هـذا القبيل . قال ابن مالك في الفيَّتهِ في باب المعربات :

وشرط ذا الاعراب ان يضفنَ لا لياكجا اخو ابيك ذا اعتلا

قال الشيخ بدر الدين في شرحهِ هذا البيت : « فان قلت لما كان شرطًا في اعراب هذه الاسماء بالحروف اضافتها الى غير ياء المتكلم . قلنا لان ما كان منهـا غير مضاف فهو معرب بالحركات نحو أبٌ الخ (١ . وما كان منها مضافًا الى ياء المتكلم قد أعربوه كغيرهِ مما يُضاف الى هذه الياء نحو هذا ابي (٢ وما كان مضافًا الى غير الياء المذكورة أعرب بالواو رفعًا وبالالف نصبًا وبالياء جرًّا كما في قولهِ : جاء اخو ابيك ذا اعتـلا . والسبب في أن جرَتْ هذه الاسماء هذا المجرى هو ان اواخرها حالة الاضافـة معتلَّة فاعربوها بحركات مقدَّرة واتبعوا تلك الحركات حركة من قبل الآخر فادَّى ذلك الى

---

١) ولم يعربوها بالحرف جريًا على الاصل لانهم لو كانوا يقصدون اختصاصها بهذا الاعراب دون سائر اخوتها جريًا على الاصل لمَّا اشترطوا عليهِ شروطًا اربعة . على ان الجري على الاصل يتوفر معهُ كل شرط ولا يستلزم هذا التكلف والعناء . ثم ما الذي دعاهم الى نقلها هنا الى الاعراب بالحركة وخالفوا فيها اصلها الذي وضعوها عليهِ فاخرجوها عن حيّزها الاصلي في وقت لم يبقَ معهم غيرها يُعرَب اعرابها . فتكون لهم حجةً ودليلًا على هذا الاصل و بعبارة اخرى اثرًا بعد عين ؟ . فبالاولى اذًا نقول لمَّا كانت الاسماء كلها تُعرب بالحركات الَّا هذا الجزء او هذه الفصيلة منهـا أفلا يُعدّ نادرًا والنادر كالعدم والعدم لا يُبنى عليهِ حكم ولا يُحتجُّ بهِ . سيما من لا يثبت على قرار لا يُستأثر بهِ الاستشهاد

٢) وهذا شاهد اخر لانَّهم لو ارادوا ان يخصوها بهذا النوع من الاعراب كالمثنى والجمع . فلمَّا لم يبقوها على ما وضعت عليهِ من الاصل حتى نقلوها الى الاعراب بالحركة (الذي هو الفرع) المقدَّرة عند اضافتها الى هذا الضمير ولم يعربوها اعرابهما اذا اضيفا اليـهِ . فتجري في سائر حالاتها على وتيرة واحدةٍ مثلهما . اي تُرفع ايضًا بواو مقدرة مثلهما الخ

كونهِ واوًا في الرفع والفاً في النصب و ياء في الجرّ . و بيان ذلك ان ذو اصلهُ « ذوي » بدليل قولهم ذويان في التثنية فحُذفت الياء وبقيت الواو حرف اعراب » الى آخر ما هنالك من الاستقصاء مما لم ناتِ على آخرهِ فرارًا من الاطالة اذ ليس الغرض الّا الاجتزاء بالاشارة الى بيان عدل تلك الاسماء عن وضعها من الاعراب بالحركة الى الاعراب بالحرف لتكون لنا حجة و بينةً على دعوانا

ومما أُوثر اثباتهُ هنا ايضاً ما كنتُ قد ارتأيتهُ منذ امدٍ غير قريب ولعلي لستُ ببعيد فيهِ عن الصواب . وهو انّهم اعربوا هذه الاسماء بالحرف في حالة الاضافة الى غير ياء المتكلم جبرًا لما فاتها من موازنة الثلاثي من الاسماء عند حذفهم احد اصولها اعتباطاً (الذي هو آخرها) بدليل انهم لم يعربوا مفردًا سواها اعرابها مما لم يعاملوهُ معاملتها من مثل هذا الحذف ولكي يُساووا بينها و بين ما عاملوهُ معاملتها من الحذف ولم يعربوه هذا الاعراب مثلها كيَد ودَم مثلًا ردُّوها الى مثل اعرابهِ بالحركة عند قطعها عن الاضافة او اضافتها الى الياء فتأمّل

واكثر مما يُستفاد من وضعهم الالف للمثنى والواو للجمع علاوة على ما سبق لنا من البيان . انهُ لما كانت الالف قد استوفت حقها من الشيوع (اسماً وحرفاً) في مثنى الاسماء والافعال فضلًا عن مشاركتها الواو في الدلالة على الجمعيَّة كما في الجمع المؤنث السالم الذي هو احطُّ قدرًا من جمع الذكور (لان التأنيث فرع التذكير) لما في الواو من الجزالة والفخامة وما في الالف من الرقّة واللطافة اعطوا الواو (ضميرًا او حرفاً) حقها من الجمعية للذكور في الافعال والاسماء ولهذا ترى حيثما كانت الالف ضميرًا للمثنّى مذكرًا كانت الواو ضميرًا لجمعهِ مذكرًا (وهذا يشمل الفعل والجمع السالم) ليس الّا

ومما يناسب هذا المقام قول بعض المحققين : « ان لسان العرب يتفرّع منهُ فروع كثيرة كما انهُ يتفرع من غيره من اللغات الشرقيَّة كالسريان والعبران الخ » اقول نعم ان هذا لحقيق ولا يتنازع فيهِ اثنان . وحيث كانت اللغة العربيَّة متفرعة منهما (بل من السريانيَّة على التحقيق لا التخمين) وهما تستعملان السمات في اقامة الهجاء لا الحروف . فالعرب حافظوا على ما اخذوه وتعلموه منهما . فباولى حجة (بل بديهي) ان يقال ان العرب قد اصطلحوا على الحركات في قوام هجاء مفرداتهم آخذين ذلك عما أُخذت لغتهم عنهُ ولمّا ارادوا اظهار اعرابهم لم يخرجوا عن حدّ تلك العلامات ولم

يتحرَّوا سواها لما يُرى من سهولة مأخذها مع ما فيها من الاختصار الذي هو ديدنهم واسُّ فصاحتهم ودعامة بلاغتهم فيجري اذ ذاك اقامة جميع هجاء الكلمة من اولها الى آخرها مع اعرابها على سَنَن واحد من السهولة والاختصار على ما ذكر . ألا ترى انهم اقتصروا على نون التنوين بتكرار رسم الحركة ولم يرسومها نونًا حذرًا من التطويل والثقل ورعايةً لأَمن اللبس ايضاً . مع ما يروق للناظر من رسمهِ فوق الحرف كتاج وا كايل سيما ما يُرى من هيئة تنوين الرفع

واما ما يُرى من استعمال السريان ܐܦ كما في قولهم ܐܠܗܐ ܚܝ ܐܦ اي الله عادل هو فهو بمثابة ضمير او حرف فصل على ما سترى . ولم يخصوه بحالة ما رفعاً كان او غيرهُ . قال في الغراماطيق السرياني في باب الخبر: « والوجه الثاني انْ يُقرن الخبر باحد الفاظ الفصل وهي ܗܘ ܗܝ ܗܢܘܢ ܗܝܢ بمقتضى ما يكون الخبر من مذكر ومؤنث مفردًا او جمعاً . واذا كان المبتدا ضميرًا اقترنت بهِ لفظة الفصل وقيل للغائب ܗܘ ܗܘ بدل ܗܘ ܐܦ ܗܘ الى اخر ما هنالك . واما الوجه الاول الذي قبلهُ والثالث الذي بعدهُ فيثبت لنا من الاستقراء فيهما ان السريان لم يتوخوا باستعمالهم هذا الفعل وان شئت قل لفظ الفصل بين المبتدإ والخبر بل انهُ يقع مواقع أُخر من النصب والجرّ ايضاً » . وأورد على ذلك امثلة عديدة تقطع كل ريب وترفع كل شبهة اعرضنا عن ايرادها كما هو دأبنا في طلب الاختصار فيكون هذا الحرف عندهم تارةً ضميرًا وطورًا رابطاً وليس بعلامة اعراب (وربَّما ارادوا بهِ ما يراد بتعلق الظرف اذ كل منهما يدل على كونٍ عام) وهو اشبه شيءٍ بلفظة est الفرنسيَّة في قولك Dieu est bon وقس عليه . ثم استتلى هذا المؤلف كلامهُ فقال : « ولك مع ܐܢܐ او ܐܢܚܢܐ (٢ وجه آخر نحو ܐܢܐ ܐܬܝ ܒܒܝܬܐ ܕܝܠܝ ܐܙܠ ܐܢܐ ܒܒܝܬܐ ܕܝܠܝ ܐܢܚܢܐ ܒܐܣܬܐ متى تكون القيامة » انتهى

وعلى كلٍّ ألَمْ يُحمل العرب الخبر الصفة وما يُؤوَّل بها من جامد ضميرًا يربطهُ

---

١) هذا يشمل الفعل والجمع السالم

٢) ومن قواعدهم انَّهم يسقطون الهاء من فعل ܐܬܐ في ماضيه كلهِ ومن ܐܦ و ܗܘ اذا اتصلت في اللفظ بما قبلها

بالمبتدإ . او لم يستعملوا ضمير الفصل الذي يسمونهُ ضمير عماد او حرف عماد ايضاً . فعليهِ اذاً سواء كان الضمير بارزاً او مستتراً ليس هو عند العرب في شيء من علامة للاعراب كما لم يكن عند غيرهم ايضاً

ولولا ان قد طال بنا من الكلام المجال ونخشى الملل لأتينا على آخر ما لدينا من البراهين والادلَّة العديدة مصداق ما اوردنا من الرأي . ومع هذا نؤثر وصد هذا الباب دون ان نتحف القرَّاء الكرام بما يكون كشذرة في هذه القلادة التي اضحى عقدها يتلألأ في نحور خود الجلاء على ترائب الحقيقة فنقول :

قال في الغراماطيق المذكور في باب البحث عن الكتابة : « ان العرب تعلموا الكتابة من السريان واتخذوا منهم القلم السرياني وهو الذي الى الان يستعملونهُ الخ » . وقال في باب استنباط الحركات : « ويتضح جليًّا مما سبق انهُ نحو السنة الالف ومئة للميلاد لا الاراميون (اي السريان الشرقيون) ولا الغربيون (اي السريان الغربيون) ولا اليهود ولا العرب ولا سائر الامم لم يكونوا يستعملون في كتابتهم علامات للحركات ولا كان عندهم اسماء للحركات الخ » . حتى ان العرب لما اتخذوا الخط من السريان لم ياخذوا الَّا حروفاً (اي حروف الهجاء) ثم بعد ذلك اخترعوا هم العلامات للحركات المستعملة عندهم الان . فكان القارئون يحركون من بالهم الحروف المكتوبة كما يفعل العرب اليوم في اغلب كتبهم . واليونان واللاتين اذ رأوا ان القلم السرياني لا يحوي علامات للحركات خصَّصوا احرف العلَّة من القلم السرياني علامات لثلاث حركات وزادوا عليها ثلثة احرف حلقيَّة لا توجد في لغتهم فجعلوها لحركات اخرى واقتدى بهم جميع الذين اخترعوا اقلاماً جديدة في الازمان التابعة كالارمن والقبط والصقالبة والروسيين

« وفي القرن السابع للمسيح حاول يعقوب الرهاوي الذي اشتهر في الملة السريانيَّة اليعقوبيَّة ان يُدخل هذه الطريقة اليونانيَّة في الكتابة السريانيَّة لانهُ في ذلك الزمان لم يكن بعدُ قد أستُنبطت الحركات في اللغة السريانيَّة فاخترع علامات للفتاح والزلام وسائر الحركات السريانيَّة لتُكتب مع الحرف في كتابة الكلمات ولكن هذه الطريقة لم يسلكها احدٌ من بعدهِ ومثلما نشأت ماتت (١) » . انتهى بحرفهِ . هذا وحسبنا في كل

١) وهنا يمكننا ان نقول ان هذا يعقوب او غيره عرف ان السريان كانوا يقيمون الهجاء

ذلك وما وصل الينا منهم ويُستفاد من تحقيقاتهم ما هو مقرَّر في كتبهم ونصُّوا عليهِ في باب تقسيم علامات الاعراب ان الحرف قد استُعمل بطريق النيابة عن الحركة الموضوعة اصالة لاقامة الهجاء ثم لاظهار الاعراب ولا يُسمع خلافهُ . . . وكفى

ومما يليق بنا ان نجعلهُ كختام لهذه العجالة شهادة لا تقبل الرياء اتى بها العلامة العامل المحقق والجهبذ اللغوي المدقق حضرة الاب انستاس الكرملي المحترم في مقالتهِ الرنانة المدرجة في مجلة المشرق الاغرّ في الصفحة الثانية والعشرين من الجزء الاول لسنة ١٩٠٨ التي عنوانها « اللغة العربيَّة » في طور النشوْ والتكوُّن . قال حضرتهُ في الطور الثاني : « وهو الطور الذي كان فيهِ اقوام الاعراب على ثلثة اوجه في قبيلة دون اخرى ثم حدث فيهِ تغيُّر الحروف وتبدُّلها بعضها من بعض وكثرت انواع الحركات في صدر الكلمة وحشوها » . ثم قال : « وفي الطور الثالث وهو طور الانضمام والتجمع الخ . يعني الطور الذي لم يكن فيهِ في بلاد العرب وقبائلها الّا ست لغات عظمى الخ . واتخذت فيهِ اوجه الاعراب قاعدة مطردة يجري عليها المتكلمون ويتبع جادتها الكل اجمعون . يعني انهم اتخذوا الضم للرفع والفتح للنصب والكسر للخفض والجرّ (٤) طور الاسلام والتفرُّغ وهو الطور الذي ظهر فيهِ الاسلام والقرآن فاخذت سائر اللغات بالزوال والاضمحلال وعمت فيهِ لغة المبين او الفصيح ونشأت فيهِ اصطلاحات وعبارات كانت مجهولة في سياق الاطوار الخ »

بالحرف لما تكلف مؤونة امتحال بعض العلامات اليونانية لاقامة هجائهِ ولا نسبها لهُ بل لا جرم كان الاحرى بهِ ان يعيد اليهم ما كان لهم منها الى اصلها ويرجعها الى ما كانت عليهِ من رونقها الاصلي ولاحتجَّ بها عليهم وردَّهم الى ما عدلوا عنهُ وزاغوا فيهِ عن سواء السبيل في ما وُضعت عليهِ لغتهم وردَّ بضاعتهم اليهم . وهكذا القول في العرب في اقامة الحجة عليهم لمخالفتهم سنن ما اخذوا عنهُ . وعلى كلٍّ فكفى بقول هذا المؤلف من الحجة السديدة والبرهان القاطع ما اتى بالبينة السافرة على ان العرب في جميع اطوارهم لم يذروا ان يفوضم الفرض في شيء من ذلك . ألا تراهم نبَّهوا على الحركة المعبَّر بها عن التنوين واوضحوا سرَّها ولم يغفلوا عن الف الاطلاق وكشفوا عن حقيقة الزيادات ما . م . نَّ اللاحقة الضائر واطالوا البحث في اقسام التنوين وانواعهِ ومواضيعهِ وناضلوا في شأن الالف اللاحقة ضمير المؤنثة الغائبة . الى غير ذلك ممَّا لم يأتِ بهم الاستقصاء فيهِ بجليل فائدة فما الذي منعهم هنا عن ان يغضُّوا النظر عن مثل هذا الامر المهمّ الذي لا يخلو من فائدة طائلة بل حجة قاطعة تقطع كل نزاع وتكفي مؤونة البحث وتوصد الباب امام كل اعتراض ومسئلة

فاقول بوجيز العبارة . لا يمكن ان يكون مفاد كلامهِ ان العرب كانوا يحرّكون بالحرف عوض الحركة ثم عدلوا عنهُ اليها في اي طور كان من اطوار اللغة المذكورة . ولا يُشعر بانهم قد تواطأوا على الحركة (بدليل قولهِ : في قبيلة دون اخرى) بمكان الحرف فيما جاء من بعدُ فلو كان ذلك منهم فلا بدَّ من ان يُشام وميض برقهِ او يكون لهُ اثرٌ ما في احدى تلك اللغات التي ذكرها لدى احدى تلك القبائل . لانهُ لا جرم كانت احداهنَّ تنكره او تخالف فيهِ آراء اختها شأن الامم في تباين الاراء واستصواب رأي دون آخر فداومت على المسير في خطتها الاولى . سيما لِما يوجد من الثقل والصعوبة في الانتقال والتقلُّب من حالة الى غيرها في بدء الامر . على ان المحافظة على القديم شان للعرب وذمَّة تكاد لا تخفرها حتى في الازياء فكيف في الاراء.

(المشرق) اثبتنا هذه المقالة في الحركات العربية واصلها دون ان نجزم بصحّة آرائها . ونحن نعلم انَّ فئة من العلماء لا يوافقون صاحبها على اقوالهِ لاسيما في اصل الخطّ العربيّ واشتقاق اللغة العربية من السريانية والعبرانية فانَّ للمستشرقين في ذلك آراء مستحدثة اتَّسعوا فيها . الَّا ان الحقيقة بنت البحث وفي معرفة المزاعم المتباينة افادة

نخبة ثانية

من كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة

نشرها وذيلها بالملحوظات المفيدة الدكتور پيار گيگ استاذ الصيدلة في المكتب الطبي الافرنسي

توطئة

ما نبي القرَّاء مقالتنا التي اثبتناها العام الماضي في المشرق (١٠ : ٩٦١ و١٠٧٩) عن كتاب غاية في الحسن والافادة عنوانهُ (نهاية الرتبة في طلب الحسبة) عرَّفنا مؤلفهُ ومضامينهُ ونقلنا عنهُ عدة منتخبات استحسنها اهل الذوق وطلبة الاثار القديمة . ومن فصول هذا التأليف المستطرفة ثلاثة ابواب اشرنا الى محتوياتها الفريدة (١٠ : ٨٢) تبحث عن الصيادلة والعقاقير ثمَّ الاشربة والمعاجين ثمَّ العطر والعطارين وما يدلّس بهِ اصحاب هذه الصناعات مبيعاتهم ويخدعون الناس بها